المحاضرة11: التواصل ووظائف اللغة

<u>أوّلاً</u> - دورة التّخاطب عند سوسير: لقد فتحت لسانيات سوسير عهدا جديدا في تاريخ الدّراسات اللّغوية، وأول ما أكّد عليه هذا اللّغوي هو أنّ الوظيفة الأساسية للغة **هي التواصل،** وأنّ التواصل الكلامي هو فعل اجتماعي يتمّ عبر ما يسمى عنده بدورة التخاطب (circuit de la parole)، يفترض سوسير وجود فردين على الأقل لكي تتم عملية التواصل، فيفترض وجود شخصين (أ) و(ب)

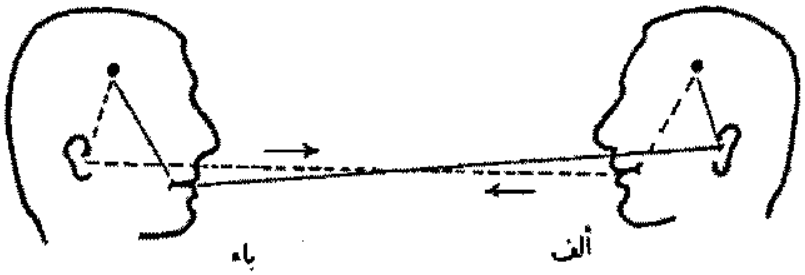

يتحدّثان:

في دورة التخاطب عند سوسير، تنطلق العملية من دماغ الشخص (أ)، حيث يرتبط المتصوَّر الذهني **(المدلول)** بالصورة الأكوستيكية المناسبة له **(الدال).** هذا الربط يمثّل ظاهرة نفسية صرفة. تليها ظاهرة فيزيولوجية، حين يرسل دماغ (أ) أوامر لأعضاء النطق لإنتاج الصوت، ثم ينتشر الصوت فيزيائياً من فم (أ) إلى أذن (ب).

عند الشخص (ب)، تمر العملية بالعكس:

يستقبل أذن(ب) الموجات الصوتية (مرحلة فيزيائية)، ثم تُنقل إلى الدماغ (مرحلة فيزيولوجية)، وهناك يتم الربط بين الصورة الأكوستيكية والمتصوَّر الذهني المناسب لها (مرحلة نفسية).

وإذا ردّ (ب) بالكلام، فإن العملية تسلك المسار نفسه الذي سلكه كلام (أ) في الاتجاه المعاكس.

إن هذا الشكل لم يأخذ بعين الاعتبار إلا العناصر التي بدت جوهرية، إذ يمكن التمييز من الوهلة الأولى بين العناصر الفيزيائية (الموجات الصوتية) والعناصر الفيزيولوجية (النطق والسماع)؛ والعناصر النفسية (الصور اللفظية والمتصورات)

ويحدّد سوسير مكان **<u>اللغة</u>** في ذلك القسم المعين من الدورة والذي يتمّ فيه اقتران صورة سمعية ما بتصور ذهني ما. وهي (أي اللغة) الجانب الاجتماعي للسان، والخارج عن نطاق الفرد (أمّا الكلام فهو

فردي) لأن الفرد الواحد غير قادر على أن يخلق اللغة أو على أن يحورها، و هي لا توجد إلا بمقتضى اتّفاق يتم بين أعضاء المجموعة البشرية الواحدة.

ثانيّا - وظائف اللغة عند جاكوبسن: وظائف اللغة عند جاكوبسن: يُستعمل مفهوم الوظيفية للدلالة على الغاية التي يسعى المتكلم إلى بلوغها من وراء نشاطه اللغوي، فوظيفة اللغة هي الهدف التي تُستعمل من أجله اللغة في مقام تواصلي معين.

وأشهر نموذج للوظائف في اللسانيات البنوية، ذلك الذي وضعه رومان جاكوسون لتحديد وظائف اللغة بوضوح.

لقد قام جاكوبسون بتحليل عملية التواصل، وتوصّل إلى أنّ هذه العملية تتكون من ستّة عناصر، وهي: المرسل (المتكلم)(l'émetteur)، المُستَقبِل (السامع)(récepteur)، الرسالة(message)، القناة(canal)، الشفرة (code)، والمرجع(référent).

انطلاقا من هذه العناصر، حدّد جاكوبسن للغة ستّ وظائف مختلفة تقوم بها، وهي كما يلي:

إذا كان التواصل يهدف إلى توضيح موقف المرسل إزاء الرسالة اللغوية، هذه الوظيفة هي **التعبيرية**، وإذا كان الهدف هو التأثير في المتلقي، فهذه الوظيفة هي **الإفهامية**، إذا تعلق الأمر بالنظر في صلاحية القناة أو رغبة المتلقي في إقامة التواصل أو تقوية الصلات الاجتماعية (بعبارات التحية، الترحيب، المجاملة، تبادل المشاعر، لفت انتباه المرسل...) فهي وظيفة **انتباهية**، وإذا كان الغرض من الرسالة تطوير شكلها بالذات، فهي وظيفة **إنشائية**، وإذا كان الغرض من الرسالة توضيح شفرة الاتصال أو شرح بعض المفردات فهي وظيفة واصفة للغة (**ميتالغوية**)، وإذا كان الغرض هو المرجع بالذات، فهي الوظيفة **المرجعية**.

لقد جعل جاكوبسن كلّ عنصر من هذه العناصر مرجعا في تحديد كلّ وظيفة من الوظائف السابقة، حيث إنه كلّما يتمّ التركيز أكثر على عنصر من هذه العناصر، أصبح للكلام وظيفة جديدة مختلفة عن الوظائف الأخرى. وتتمثّل هذه الوظائف في:

*الوظيفة التعبيرية (أو الانفعالية)Expressive fonction: تتمحور هذه الوظيفة حول الباث، هذا الأخير يعبر من خلالها عن مواقفه وانطباعاته وانفعالاته، وبالتالي تكون الرسالة حاملة لمواقف وانطباعات المرسل.

*الوظيفة الإفهاميةla fonction conative : تتمحور هذه الوظيفة حول المتلقي للرسالة، ومدى تأثير هذه الأخيرة في المتلقي، وإثارة انتباهه إلى الرسالة شكلا ومضمونا، وذلك باعتماد أساليب تساهم في تحقيق ذلك كالأمر والنهي والطلب، والنداء، والاستفهام.

*الوظيفة الشعرية: ويقصد بهذه الوظيفة التركيز على الرسالة فقط بما تتضمنه من عناصر نحوية وصرفية وتركيبية ومعجمية، وجمالية تشكيلها داخل النظام اللغوي، دون النظر إلى المتكلم أو المتلقي أو قناة التواصل، فتصبح الرسالة غاية لا وسيلة، فتشكّل هدف عملية التواصل.

*الوظيفة المرجعية (F. Référentielle): تتمحور هذه الوظيفة حول مرجع الرسالة، ويعتبرها جاكوبسن أساس عملية التواصل، لأنّ التواصل بأكمله قد وُجد من أجل هذه الوظيفة، وبالتالي، تعتبر هذه الأخيرة الوظيفة الأساسية يصل المتكلّم، من خلالها، إلى إدراك العلاقات بين الخطابات المختلفة التي تتبادل بين الأطراف المتواصلة، وما توحي إليه من الأشياء التي تدور حولها دلالات الخطابات والحوارات.

*الوظيفة الانتباهيةF. Phatique: (اللغوية) تتمحور حول قناة التواصل باعتبارها الوسيلة الأساسية في إقامة التواصل، ولا تسعى الرسالة هنا إلى إيصال المعلومات فحسب، بل إلى إنشاء علاقات اجتماعية وإقامة التواصل، واستمراره بين المتخاطبين.حيث يستغل المتكلمون أنظمة اللغة ومختلف أساليبها لإنشاء العلاقات المختلفة مع الغير(علاقات شخصية، اجتماعية،...).

*الوظيفة الميتالغويةF. Métalinguistique: تتمحور حول لغة الخطاب ذاتها، فهي «وظيفة (شارحة) تشرح معنى كلمات يعزّ فهمها على المستقبل، من نحو: أي، أعني، بمعنى أوْضح، أقصد...، وغير ذلك مما يُستعمل من اللغة لشرح بعض عناصر الخطاب للتأكد من أنّ كلاً من المرسل والمرسل إليه يوليان عناصر المعنى المراد بتفاصيله ومن غير زيادة أو نقصان». هذه الوظيفة التي تعتبر تفسيرية، تلعب دورا أساسيا سواء في الحياة اليومية، كونها «تّمارس في كل مرة يلجأ فيها أحد أطراف التواصل (المرسل أو المتلقي) إلى التأكد من استعمالها السنن نفسه».

(مخطّط التواصل لجاكوبسن)